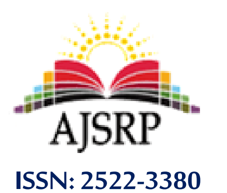
Journal of Humanities and Social Sciences
Volume (3), Issue (10): 30 Oct 2019
P: 122 - 135



ISSN: 2522-3380

مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية
المجلد (3)، العدد (10): 30 أكتوبر 2019 م
ص: 122 - 135

The historical writing of the Monography in contemporary Morocco: a contribution to the study of backgrounds, subject and methodology

Elbachir Abarzak
Faculty of literature and Human Sciences || Ibn Zohr University || Agadir || Morocco

Abstract: Form of requirement to rewrite the history of Morocco, end and destined for historical writing since the dawn of contemporary Moroccan independence to today. To achieve this endeavor went searching at first with the pioneers of traditional historical writing about writing encyclopedic local dates for various parts of the country, leaving archival sources and the rich historical material, formed an indispensable starting point for subsequent generations of researchers. Has contributed to those pioneers in founding the transformation of historical research in Morocco beginning in the 1970s, crystallized modern path generated in regional history, formed in some respects a continuation of historical writing traditional regional hand and open to Thematic issues and new methodology.

Keywords: Historical writing-Contemporary Morocco – Monograph - Traditional writing- Modern writing.

الكتابة التاريخية المونوغرافية بالمغرب المعاصر: إسهام في دراسة الخلفيات والموضوع والمنهج

البشير أبرزاق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية || جامعة ابن زهر || أكادير || المغرب

الملخص: شكل مطلب إعادة كتابة تاريخ المغرب، الغاية الكبرى والموجهة للكتابة التاريخية المغربية المعاصرة منذ فجر الاستقلال إلى اليوم. ولتحقيق هذا المسعى اتجه البحث في البداية مع رواد الكتابة التاريخية المغربية التقليدية؛ نحو كتابة تواريخ محلية موسوعية لمناطق مختلفة من البلاد، مما خلف مصادر أرشيفية ومادة تاريخية دسمة، شكلت منطلقا لا غنى عنه للأجيال اللاحقة من الباحثين. وقد ساهم أولئك الرواد بذلك، في التأسيس للتحول الذي شهده مجال البحث التاريخي في المغرب ابتداء من فترة السبعينيات من القرن العشرين، فتولد عن ذلك تبلور مسار حديث في التاريخ الجهوي/ المونوغرافي، شكل في بعض جوانبه استمرارا للكتابة التاريخية الجهوية التقليدية؛ من ناحية، ومنفتحا على قضايا موضوعاتية ومنهجية جديدة؛ من ناحية أخرى.

الكلمات المفتاحية: الكتابة التاريخية- المغرب المعاصر – المونوغرافيا- الكتابة التقليدية- الكتابة الحديثة.

مقدمة

دخلت عملية كتابة التاريخ المغربي خلال الفترة المعاصرة مرحلة جديدة مع رواد المدرسة التاريخية المغربية التقليدية أمثال عبد الرحمان بن زيدان، ومحمد داود، ومحمد المختار السوسي...،إلخ، حيث التوجه نحو كتابة تواريخ محلية موسوعية لمناطق مختلفة من البلاد، وهو الأمر الذي مكن من تأليف مصادر أرشيفية متنوعة، شكلت سندا لا غنى عنه للأجيال اللاحقة من الباحثين.

لقد أسهم أولئك الرواد بما وفروه من مادة تاريخية دسمة حول مناطق مختلفة من المغرب، في التأسيس للتحول الذي شهده مجال البحث التاريخي في المغرب ابتداء من فترة السبعينيات من القرن العشرين مع أطروحة" إينولتان" للأستاذ أحمد التوفيق، إذ تم تدشين مرحلة البحث في التاريخ الاجتماعي المونوغرافي الخاص بمناطق وجهات محددة. فتولد عن ذلك تبلور مسار حديث ومنفتح على قضايا موضوعاتية ومنهجية جديدة في التاريخ الجهوي/ المونوغرافي.

يتأسس هذا العمل على تقديم مداخيل نظرية قائمة على إعمال منهج تاريخي مقارن بين اتجاهين تاريخيين ميزا مسار الكتابة التاريخية المغربية المعاصرة، وذلك على مستويات مختلفة، عبر استقراء وإعادة تركيب القضايا ذات الصلة بالموضوع، وذلك من خلال المحورين الرئيسيين التاليين:

أولا: الكتابة التاريخية المونوغرافية في المغرب المعاصر: تصنيف وتعريف؛

ثانيا: الكتابات المونوغرافية التقليدية ونظيرتها الحديثة: مقارنة للمرجعية والمنهج، من خلال نماذج.

أولا: الكتابة التاريخية المونوغرافية في المغرب المعاصر: تصنيف وتعريف

فرض الاحتكاك المغربي بالآخر الأجنبي منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين عدة تحولات سياسية وفكرية ومجتمعية، ألقت بظلالها على مسار الكتابة التاريخية المغربية والأجنبية على حد سواء.

ففي ظل تعزيز وتقوية التواجد الاستعماري بالمغرب، برزت من جهة أولى، الإنتاجات التاريخية الاستعمارية الفرنسية؛ والتي زاوجت بين جمع المخزون الوثائقي والتأريخ لمناطق وجهات مختلفة من التراب المغربي.

ومن جهة ثانية، شق الكتاب المغاربة طريقهم نحو الكتابة التاريخية الوطنية التي حضر فيها الانتماء الوطني أكثر من الاهتمام بالمنهجية والأسلوب(1). وهكذا، ظهرت "مونوغرافيات قدمت القضايا التي كانت محور الصراع بين الإقامة العامة والحركة الوطنية، من منظور وطني"(2).

لقد اعتبر بعض رواد تلك المونوغرافيات(3) أن التصدي لمهمة كتابة التاريخ المغربي من الواجبات الوطنية التي فرضتها مرحلة الاستعمار، وذلك ما عبر عنه محمد داود في قوله:" من الواجب الوطني الآن أن يكتب كل من يستطيع الكتابة عن الناحية التي يعرفها، وفي الموضوع الذي يحسنه، وبالأسلوب الذي يتقنه أو يستحسنه، ومن مختلف تلك الكتابات والأساليب التي قد تجمع بين الغث والسمين، تجتمع المعلومات الكافية لكتابة التاريخ الوطني الجامع للنواحي السياسية والحربية والعلمية والأدبية والاقتصادية والاجتماعية"(4).

ومع استقلال المغرب، وما بدأ يتبع ذلك من تحولات داخل المجتمع المغربي وخاصة في علاقته بالخارج، بدأت بوادر التجديد في مجال الكتابة التاريخية على مستويات مختلفة، منها ما يتصل بالأهداف والمرجعيات النظرية من جهة، ومنها ما يرتبط بالأدوات المنهجية من جهة أخرى(5). و في هذا السياق برز ما سماه الراحل جرمان عياش ب"

---

(1)- عمر أفا، **تاريخ المغرب المعاصر: دراسات في المصادر والمجتمع والاقتصاد**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 34، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2002/2001، ص: 21.

(2)- علي المحمدي، مشروع إعادة كتابة تاريخ المغرب في تصور محمد المختار السوسي، ضمن **ندوة المختار السوسي الذاكرة المستعادة**، المنظمة في أكادير أيام 23/22/21 دجنبر 1984، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1986، ص: 88.

(3) - ترتكز الأبحاث المونوغرافية على دراسة قضايا وإشكاليات تاريخية مختلفة لمناطق محددة في الزمان والمكان استنادا على الوثائق والمصادر الأخرى؛ كالرواية الشفوية والبحث الميداني.

(4)- محمد داود، **تاريخ تطوان**، ج 1، مطبوعات معهد مولاي الحسن، مطبعة – مكتبة كريماديس-، تطوان، دون تاريخ، ص: 25.

(5)- جرمان عياش، اتجاه جديد للبحث التاريخي، ضمن **ندوة البحث في تاريخ المغرب: حصيلة وتقويم**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1989، ص: 29.

اتجاه جديد" للبحث التاريخي في المغرب المعاصر[6]، وبدأت تتردد في أوساط بعض الباحثين المغاربة في مجال التاريخ، عبارات "المدرسة التاريخية المغربية التقليدية"، و"الكتابة التاريخية الأوربية"، و"المدرسة التاريخية المغربية الحديثة أو الجديدة".

والواقع أن الحديث عن مصطلح " المدرسة التاريخية المغربية" سواء في صورته التقليدية أو الحديثة " لا يحمل نفس الدلالة التي تحملها كلمة "مدرسة" في مبحث التاريخيات عندما يتم إطلاقها مثلا على المدرسة الوضعانية أو على مدرسة الحوليات[7]. فالمدرسة في هذا المعنى الأخير تحمل دلالة خاصة تحددها مجموعة من الثوابت المتعلقة بالخصائص المميزة إن على مستوى المرجعية النظرية أو على مستوى تحديد الموضوع، أو فيما يخص المنهج أو المفاهيم الإجرائية كما أسسها الرواد الأوائل أو كما طورها الأتباع والتلاميذ. وهو المعنى الذي لا ينطبق على عبارة " المدرسة" كما نصادفها بصدد التأليف التاريخي المغربي المعاصر"[8].

لقد جاءت الكتابات التاريخية المغربية التقليدية لتعبر عن تصور خاص في مجال الكتابة التاريخية في المغرب على الأقل منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى النصف الأول من القرن العشرين، وتمثل ذلك في مجموع التآليف التاريخية التي ميزت تلك المرحلة، والتي شكلت استمرارا للإنتاج التاريخي العربي التقليدي الذي استمر دون تغيير في أسلوبه طوال قرون[9].

ومن أهم الكتابات التي برزت في هذا الاتجاه نجد: الناصري صاحب" الاستقصاء"، و"عمدة الراوين في تاريخ تطاوين" للفقيه أحمد الرهوني، ومحمد بوجندار صاحب "مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح"، و"إتحاف أعلام الناس بمن حل بحاضرة مكناس" لعبد الرحمان بن زيدان، وعباس بن براهيم في "الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام"، ومحمد بن سعيد الصديقي في " إيقاظ السريرة لتاريخ الصويرة"، وأبي عبد الله محمد العبدي الكانوني صاحب "آسفي وما إليه قديما وحديثا"، ومحمد داود في " تاريخ تطوان"، وكتاب "المعسول" لمحمد المختار السوسي.

أما الكتابات التاريخية المغربية الحديثة فهي تعكس التحول الذي شهده التأليف التاريخي المغربي خلال مرحلة ما بعد الاستعمار، إذ التوجه " صوب التفاعل مع المناهج العلمية والاستفادة من مختلف الدراسات والأعمال الجامعية، ونحو التخلص من المفاهيم الأجنبية التي تجذر بعضها في الكتابة الاستعمارية"[10]، وهو أمر منسجم مع تطورات الوعي التاريخي الوطني وتحولات مناهج البحث التاريخي العالمي. ويمكن التمييز في هذا السياق بين مرحلتين أساسيتين في مسار هذا التطور، وهما: مرحلة "التاريخ الوطني" خلال الفترة الممتدة ما بين استقلال المغرب إلى سنة 1975، ثم المرحلة الثانية من سنة 1975إلى اليوم إذ الانفتاح على قضايا "التاريخ الاجتماعي"[11]. ومن أبرز الأساتذة الأعلام الذين أسسوا لهذا التحول، نذكر على سبيل المثال لا الحصر كُلاً من محمد المنوني ومحمد زنيبر ومحمد حجي

---

(6)- جرمان عياش، اتجاه جديد للبحث التاريخي، **مرجع سابق**، ص. ص: 29-42.

(7)- حول المدارس التاريخية بأوروبا، يرجع إلى الهادي التيمومي، **المدارس التاريخية الحديثة**، نشر دار التنوير ببيروت ودار محمد علي بتونس، الطبعة الأولى، 2013.

(8)- محمد العيادي، المدرسة التاريخية المغربية الحديثة: الإشكاليات والمفاهيم، **دراسات مغاربية**، مؤسسة الملك عبد العزيز الدار البيضاء، العدد 15، 2005،ص: 10.

(9)- جرمان عياش، اتجاه جديد للبحث التاريخي، **مرجع سابق**، ص: 30.

(10)- عمر أفا، **تاريخ المغرب المعاصر**، مرجع سابق، ص: 21.

(11)- محمد المنصور، الكتابة التاريخية بالمغرب خلال ثلاثين سنة(1956-1986)" ملاحظات عامة، ضمن **ندوة البحث في تاريخ المغرب**، مرجع سابق، ص. ص: 17-27.

وجرمان عياش ومحمد القبلي وعبد الله العروي وأحمد التوفيق، ومحمد القبلي، وعبد الرحمان المودن، وعمر أفا،...إلخ.

ويقتضي الحديث عن الكتابة التاريخية المونوغرافية المغربية المعاصرة على وجه العموم، استحضار المكونات الأساسية الآتية:

- طبيعة هذه الكتابات؛
- حدودها الزمنية؛
- امتداداتها المجالية.

وهذه العناصر الثلاثة تحيل إلى ما يجمع بين رواد البحث التاريخي المونوغرافي من روابط وأهداف، فرضت معالجتها والكتابة فيها منهجا معينا مختلفا كان أو موحدا. أما بروز اسم الكتابات التاريخية المغربية التقليدية فإحالة إلى وجود اتجاه جديد/ حديث دشنه البحث التاريخي المغربي مذ سبعينيات القرن العشرين إلى اليوم، عرف باسم " المدرسة التاريخية الحديثة" أو الاتجاه الجديد للبحث التاريخي؛ الذي يحيل في دلالته على التعبير عن ثلاثة مكونات رئيسية، يرتبط أولها بجنسية أصحابها أي المؤرخين المغاربة المعاصرين دون غيرهم من المؤرخين الأجانب، والعنصر الثاني يحيل على حقبة إنتاج هؤلاء المؤرخين المغاربة، أي حقبة ما بعد الحماية[(12)]. أما العنصر الثالث فيتضح في وحدة أقطاب البحث التاريخي الجديد من حيث الاقتباس والطريقة والهدف[(13)].

إلا أن التشابه بين رواد الاتجاه التاريخي المغربي التقليدي في المغرب المعاصر على مستويات ظرفية التأليف وفترتها الزمنية، وكذا تدشينهم لمسار بحث تاريخي قائم على كتابة التواريخ المحلية لمناطق مختلفة من المغرب " لا يعني أن هناك وحدة من الحوافز ووعيا عاما بطبيعة القضايا التي ينبغي التركيز عليها"[(14)]. هذا بالرغم من أن أعلام هذا الاتجاه ربطوا بين المدن أو المجالات المحلية التي أرخوا لها وإطارها الوطني[(15)].

ثانيا: الكتابات المونوغرافية التقليدية ونظيرتها الحديثة، مقارنة للمرجعية والمنهج من خلال نماذج

ننطلق من طرح التساؤلات التالية: هل شكل ظهور اتجاه جديد في مسار البحث التاريخي المغربي قطيعة مع الكتابات التاريخية التقليدية؟. ألا يشكل الاتجاه الجديد استمرارا للاتجاه التقليدي؟ ما حدود القطيعة والاستمرار بين الاتجاهين؟.

لا شك أن الإجابة عن تلك التساؤلات لم تكن مهمة سهلة، خاصة وأن الأمر يهم مقاربة كتابات متنوعة، بل ومختلفة أحيانا داخل الاتجاه الواحد من حيث المنهج والمقاصد، إلا أن هذه الصعوبة لم تحل دون وضع هذا الإنتاج في مختبر المقارنة والدراسة. وفي سبيل تبيان مظاهر الاستمرار والقطيعة بين الاتجاهين من حيث الموضوعات البحثية، وخلفياتها، ومنهجها، اتجه البحث نحو أعمال محمد داود ومحمد المختار السوسي، من جهة المدرسة التقليدية، وأعمال بعض رواد المدرسة التاريخية الحديثة أمثال جرمان عياش وعبد الله العروي، وأحمد التوفيق وعبد الرحمان المودن وعمر أفا، وغيرهم.

---

(12)- محمد العيادي، المدرسة التاريخية المغربية الحديثة: الإشكاليات والمفاهيم، **مرجع سابق**، ص: 10.

(13)- جرمان عياش، اتجاه جديد للبحث التاريخي في المغرب، **مرجع سابق**، ص: 30.

(14)- علي المحمدي، مشروع إعادة كتابة تاريخ المغرب في تصور محمد المختار السوسي، **مرجع سابق**، ص: 86.

(15)- امحمد بن عبود، ملاحظات حول مقدمة تاريخ تطوان للفقيد داود، ضمن **ندوة محمد داود الحركة الوطنية بالشمال والمسألة الثقافية**، تطوان 24-25-26 نونبر، منشورات اتحاد كتاب المغرب، سلسلة ندوات2، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى، 1990، ص: 80.

1- مظاهر التشابه والاستمرارية:

أ- مواجهة الأطروحات الاستعمارية

شكلت مواجهة الكتابات الاستعمارية ودحضها هدفا مشتركا لكتابات المؤرخين المغاربة خلال القرن العشرين سواء مع مؤرخي الاتجاه التقليدي أو مع أعلام الكتابات الحديثة؛ سواء في بداية تداولها مع جرمان عياش أو مع رواد مرحلة التاريخ الاجتماعي بدءا مع أطروحة" إينولتان" لأحمد التوفيق(16).

فقد سبق للمؤرخين محمد داود والمختار السوسي أن اعتبرا وهما قد انتدبا نفسيهما لكتابة تواريخ تطوان وسوس، أن كتابة التاريخ "واجب وطني" ومهمة ملحة فرضتها أوضاع المغرب المستعمَر. يقول محمد المختار السوسي:" أفيمكن أن يكون التاريخ العام للمغرب تاما غدا إذا لم يقم أبناء اليوم – والعهد لا يزال قريبا ولما تغمرنا أمواج هذه الحضارة الغربية الجارفة، التي تحاول منذ الآن حتى إفساد ماضينا بما يكتبه عنا بعض المغرضين من أهلها- بجمع كل ما يمكن جمعه، وتنسيق ما لا يزال مبعثرا بين الآثار ومنتشرا أثناء المسامرات. فإنه لو قام من كل ناحية رجال باحثون ببذل الجهود، لتكونت بما سيهيئونه من التاريخ الخاص لكل ناحية مراجع عظيمة، سيتكئ عليها الذين سيتصدرون للتاريخ العام المستوعب في العلم العربي المغربي غدا بله الحوادث والأطوار المتقلبة.."(17).

ومن جهتهم اعتبر مؤرخو المدرسة الحديثة أن" المغرب(...) محتاج ألح الحاجة إلى أن يشمر مؤرخوه الجدد عن ساعد الجد ليكتشفوا الأسباب الحقيقية للانحطاط الطويل الذي أدى به إلى الاستسلام للاستعمار، والأسباب التي مكنته من مقاومة هذا الاستعمار مدة طويلة حتى يصبح قادرا على التحكم في مصيره من الآن فصاعدا."(18).

ب- الوثيقة دعامة أساسية لكتابة تاريخ المغرب

إن النظر إلى الوثيقة التاريخية باعتبارها دعامة أساسية في بلورة مشروع إعادة كتابة التاريخ المغربي العام، يعد من العناصر الأساسية التي جسدت مظاهر الاستمرار والتشابه بين الكتابة التاريخية التقليدية ونظيرتها الحديثة.

لقد اعتبر مؤرخو التأليف التاريخي التقليدي أن الوصول إلى كتابة تاريخ مغربي شمولي وعلمي، لن يتأتى دون الرجوع إلى الوثائق الخاصة بكل ناحية من نواحي المغرب. فمن جهته أولى محمد داود أهمية كبرى للوثيقة التاريخية سواء كانت وثائق رسمية(رسائل، نصوص معاهدات، ظهائر سلطانية،...) أو غير رسمية(رسوم عدلية، نوازل فقهية، نصوص الإجازات، أشعار،...). إذ اعتبر أن فقدان الوثائق التاريخية أو عدم الوصول إليها هو فقدان لجزء من التاريخ الحقيقي للبلاد، وهذا ما عبر عنه وهو يترجم للنائب السلطاني بطنجة محمد بن عبد الله الخطيب، حينما لم يتمكن من الوقوف عند كل وثائقه، بقوله:" ولقد كنت أود لو تمكنت من جمع كل ما خلفه المترجم رحمه الله من الرسائل والمستندات التي لها ارتباط بالوظيف المهم الذي كان قائما به وبالعلاقات بين المغرب والأجانب في السراء والضراء،

---

(16)- مما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق أن جيل التأسيس لمرحلة "التاريخ الاجتماعي" ساهم في إغناء أطروحات التاريخ الوطني في الرد على الدراسات الاستعمارية، وفي مقابل ذلك ثبت لديهم أن الوثائق والدراسات الأجنبية مصدر أساسي في كتابة تاريخ المغرب مع ما يفرضه ذلك من نقد وحذر منهجيين. وفي هذا الاطار، وإلى جانب دراستي " إينولتان" و" إيناون، لكل من أحمد التوفيق وعبد الرحمان المودن، تندرج أعمال العديد الباحثين الآخرين، نذكر منهم، كل من مصطفى الشابي حول **النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر**، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 26، الطبعة الأولى، 1995. ودراسة عبد الأحد السبتي، **بين الزطاط وقاطع الطريق: أمن الطرق في مغرب ما قبل الاستعمار**، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، 2009. ودراسة محمد أعفيف حول **توات: مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات وتاريخها**، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 70، الطبعة الأولى، 2014.

(17)- محمد المختار السوسي، **سوس العالمة**، الطبعة الثانية، 1984، ص: أ- ب.

(18)- جرمان عياش، اتجاه جديد للبحث التاريخي في المغرب، **مرجع سابق**، ص: 38.

والشدة والرخاء، لأن في ذلك ونحوه مواد ثمينة لتاريخ المغرب وعلائقه بالخارج من ناحية، وتصويرا لكيفية المعاملة والمراسلة، وبيانا لنوع المسائل التي كانت تدور بين الطرفين، وفي ذلك من الفوائد ما لا يخفى"[(19)].

كما آمن رواد الكتابات التاريخية الحديثة، وخاصة مع الجيل الأول من مؤرخي الجامعة المغربية، بأن استكمال مشروع إعادة كتابة تاريخ المغرب لن يتأتى في جانب منه دون الرجوع إلى المظان التاريخية التقليدية، من جهة، واستثمار المادة التاريخية التي تتضمنها "المصادر الدفينة" مثل كتب الرحلات والنوازل والأجوبة وكتب الأنساب والوفيات والمناقب، من جهة أخرى.

لقد وجد المؤرخ الجديد نفسه أمام عدم إمكانية الاستغناء عن المصادر الوطنية التي ألفها المؤرخون التقليديون، باعتبار ذلك مدخلا أساسيا في الكشف عن التاريخ المحلي المغربي، والذي لا تكتمل صورته في نظر المؤرخ الجديد إلا بالاستناد على المصادر غير الرسمية من وثائق خاصة وغيرها[(20)].

وهكذا، أعطى أساتذة الاتجاه التاريخي الجديد أولوية لعملية التوثيق[(21)]، واعتبروا أن"(...) إهمال الوثائق وعدم إعطائها كلمة الحكم(...) يعد ضبابية تغطي المنظر فتخفي الواقع(...)أما في حالة إعطاء الوثائق حقها فسيظهر أن تجديدا حدث فعلا في البحث التاريخي(...)"[(22)]، بل إنهم اعتبروا أن المهمة الأساسية للمؤرخ هي البحث عن الوثائق، وهو تحصيل حاصل، فما دام هناك تاريخ ومؤرخون فالبحث عن الوثائق نشاط متواصل[(23)].

ج- التاريخ المونوغرافي مدخلا لكتابة التاريخ الوطني

هل كان للكتابة التاريخية التقليدية دور في توجه البحث التاريخي الحديث في بعض مجالاته الكبرى نحو التاريخ المونوغرافي؟ و إذا كان الأمر كذلك، ألا يجسد هذا مظهرا آخر من مظاهر الاستمرارية بين الكتابة التقليدية ونظيرتها الحديثة؟.

إن الجواب عن هذين السؤالين، يقتضي استقراء تصورات أعلام الكتابة التاريخية التقليدية حول كتابة التاريخ المغربي، في ظل اتفاقهم على التوجه نحو كتابة التواريخ المحلية كمدخل أساس لإعادة كتابة التاريخ العلمي للمغرب، وقد صرح غير واحد من هؤلاء معبرا عن هذا الاتجاه. يقول محمد المختار السوسي:" إن التاريخ بمفهومه العلمي الدقيق لا يمكن أن يتكون تكونا تاما إلا من التواريخ الخاصة بكل حاضرة من الحواضر وبكل بادية من البوادي"[(24)].

إن كتابة تاريخ المغرب وفق تصور المؤرخ التقليدي كما عبر عنه محمد المختار السوسي لا يمكن أن تتحقق إلا بكتابة التواريخ المحلية والإقليمية كمرحلة أولى، وهي المهمة التي انتدب إليها نفسه خلال تلك المرحلة، إيمانا منه بأن بذل الجهود في كتابة التاريخ المحلي هو الذي سيمكن من إيجاد مراجع تاريخية "عظيمة" لكل ناحية، خاصة وأن" قلم المؤرخ الجَمَّاعَة كعدسة المصور تلتقط كل ما أمامها حتى ما تقذى به الأعين، فكما تلتقط الإشعاعات الساطعة تلتقط الظلال القاتمة"[(25)].

---

(19)- محمد داود، **تاريخ تطوان**، ج 7، المطبعة الملكية، الرباط، 1990، ص: 28.

(20)- محمد المنصور، الكتابة التاريخية بالمغرب خلال ثلاثين سنة(1956-1986)" ملاحظات عامة، **مرجع سابق**، ص:27.

(21)- امحمد بن عبود، ملاحظات حول مقدمة تاريخ تطوان للفقيد داود، **مرجع سابق**، ص: 81.

(22)- جرمان عياش، اتجاه جديد للبحث التاريخي في المغرب، **مرجع سابق**، ص: 34.

(23)- عبد الله العروي، **مجمل تاريخ المغرب**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، وبيروت، الطبعة الثانية - 2009 ص: 21.

(24)- محمد المختار السوسي، **سوس العالمة**، مصدر سابق، ص: آ.

(25)- محمد المختار السوسي، **المعسول**، ج 1، ص: و.

لقد كان المؤرخ التقليدي السوسي واعيا بأن مهمته التاريخية تنحصر في جمع المادة التاريخية بهدف" إفادة المؤرخين غدا"[26] ليستخلصوا منها السقيم والصحيح من الأخبار حول الإقليم السوسي[27]، وهو الأمر الذي جعل كتاباته ذات المنحى التاريخي وخاصة "المعسول" بمثابة "رزم قابلة للتفكيك، متى أريد توظيف عناصرها ضمن تصاميم "عصرية" تنطبق على تصور آخر للتاريخ"[28].

ولم تختلف رؤية محمد المختار السوسي ووعيه عن رؤية ووعي مؤرخ تطوان وشمال المغرب الأستاذ محمد داود الذي ضمن كتابه حول " تاريخ تطوان" جملة من الأخبار الجديرة " بأن تعتبر من المواد الأولية لكتابة التاريخ المغربي الكامل في المستقبل.(...) ولعل الجيل المقبل يستطيع أن يضم ما نجمعه نحن إلى ما حفظه أسلافنا، وما يبعثه خلفنا، وينقح الجميع تنقيحا، وينظمه تنظيما، فيجمع الأشباه والنظائر، ويفرق بين مختلف الموضوعات، ويربط بين الحلقات، ثم يقدم للأمة نتائج أبحاثه وثمرات جهوده"[29].

لقد امتد هذا الوعي والتنظير التاريخي للتاريخ المحلي إلى الكتابة التاريخية الحديثة في مغرب ما بعد الاستقلال، إذ سلك المؤرخون الجدد مسلك البحث المونوغرافي لقناعتهم بأن الدراسات المجهرية العميقة لجزء من أجزاء التاريخ المغربي، بما تمتاز به من دقة وتركيز، تعتبر منطلقا ضروريا نحو كتابة التاريخ الشمولي للبلاد[30].

ونستحضر في هذا السياق، رؤية الراحل جرمان عياش التي عبر عنها من خلال توجيه الأطاريح الجامعية في عهده نحو التاريخ المحلي، انطلاقا من الأرشيفات المحلية بغاية التصدي لدعاوى الكتابة الأوربية الاستعمارية مادة ومنهجا وتصورا، وذلك وعيا منه بأهمية البحث المونوغرافي الذي يمكن من وضع علامات في الطريق سيؤسس عليها الباحثون اللاحقون أعمالهم[31].

وهكذا، ترسخ الوعي بضرورة تحديد الخطوط العريضة للتاريخ الوطني وتحديد بعض عناصره الأساسية، من جهة، وكذا الوعي بضرورة التخصص في محور أو موضوع تاريخي محدد من حيث المحتوى والمكان والزمان قصد تحديد المنهج الذي يمكن بواسطته السيطرة عليه، من جهة أخرى[32].

لقد حظي كتاب "تاريخ تطوان" باعتباره مصدرا تاريخيا هاما في تاريخ تطوان والجهة الشمالية ككل، بامتنان العديد من الأبحاث المونوغرافية الحديثة حول تطوان وشمال المغرب بحكم قيمته التوثيقية والإخبارية[33]، إلى حد

---

(26)- محمد المختار السوسي، **المعسول**، ج 20، ص: 287.

(27)- نفسه: المصدر والصفحة.

(28)- أحمد التوفيق، التاريخ في الزمن المعسول أو محمد المختار السوسي من زمن النحو إلى زمن التاريخ، ضمن **ندوة المختار السوسي الذاكرة المستعادة** مرجع سابق، ص: 70.

(29)- نفسه: المصدر و الصفحة.

(30)- محمد المنصور، الكتابة التاريخية بالمغرب خلال ثلاثين سنة، **مرجع سابق**، ص: 26. امحمد بن عبود، ملاحظات حول مقدمة تاريخ تطوان للفقيد داود، **مرجع سابق**، ص:81. محمد حنداين، **المخزن وسوس (1672-1822) مساهمة في دراسة تاريخ علاقة الدولة بالجهة**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2005، ص: 11.

(31)- جرمان عياش، **دراسات في تاريخ المغرب**، الشبكة المغربية للناشرين المتحدين، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1986، ص: 71.

(32)- امحمد بن عبود، ملاحظات حول مقدمة تاريخ تطوان للفقيد داود، **مرجع سابق**، ص: 80.

(33)- يرجع في هذا السياق إلى كتابي الأستاذ عبد العزيز السعود: **تطوان خلال القرن التاسع عشر: مساهمة في دراسة المجتمع المغربي**، منشورات جمعية تطاون أسمير، مطبعة الحداد، الطبعة الأولى، تطوان، 1996. و**تطوان في القرن الثامن عشر(السلطة- المجتمع- الدين)**، منشورات جمعية تطاون أسمير، مطبعة الخليج العربي، الطبعة الأولى، تطوان، 2007. ودراسة خالد الرامي، **تطوان خلال القرن الثامن عشر: مساهمة في دراسة المدينة المغربية**، مطبعة الخليج العربي، الطبعة الأولى، تطوان، 2005. وامحمد بن عبود، ملاحظات حول مقدمة تاريخ تطوان للفقيد داود، **مرجع سابق**.

جعل أحد المؤرخين يذهب إلى أن رؤية الفقيه داود و أمثاله حول توجيه البحث نحو مدينة معينة يكتسي أهميته كونَ المؤرخين في الجامعات المغربية اليوم متفقون على ضرورة إعادة النظر في تصورنا الحالي لسيرورة التاريخ الوطني من خلال إنجاز دراسات متخصصة في المجال والموضوع والزمان. ولهذا فمحمد داود " أصاب عندما اختار دراسة تطوان والتعمق فيها بصفتها جزءا من الوطن العربي"[34]، ليتمكن بذلك من سد ثغرة صغيرة في ناحية من نواحي تاريخ المغرب[35].

ولم تقل أهمية باقي الكتابات المحلية التقليدية عن أهمية تاريخ تطوان في تصور المؤرخ الحديث، إذ أشاد عبد الرحمان المودن بأهمية الثروة الوثائقية التي تختزنها كتابات المختار السوسي[36]، التي شبهها بعض الباحثين بـ" الغابة العذراء التي تصلح أشجارها لأشياء كثيرة مفيدة، بل ويدعي هو نفسه أنه غرسها لتلك الفوائد"[37] كما سبق الذكر. وهذا ما جعل من نص "المعسول" نصا متضمنا لفوائد كثيرة مما يبحث عنه المؤرخ الحديث[38].

لقد صارت مؤلفات محمد المختار السوسي مصدرا أساسيا لا غنى عنه للباحث في التاريخ الجهوي لمنطقة سوس[39]، ذلك أن محتويات تلك المؤلفات وأسلوب كتابتها، أنار للمؤرخ الحديث طريق قبائل سوس وأحداثه التاريخية، إذ عمل على تحرير "مجموعة كبيرة من المخطوطات والوثائق لتصبح بين أيدي كل باحث ومهتم. وهو عمل شاق ومجهود لا يستهان به. ولن يتأتى إلا لمن هو من طينة المختار السوسي"[40].

وإذا كان مشروع إعادة كتابة تاريخ المغرب يعكس جانبا من مساهمة الكتابات المونوغرافية التقليدية وخاصة مع محمد المختار السوسي ومحمد داود، في عمل الحركة الوطنية؛ التي تصدت في مرحلة تاريخها لتفنيد المفاهيم الاستعمارية وتأجيج روح الوطنية استنادا إلى التاريخ[41]. فإن العديد من الدراسات المونوغرافية الحديثة شكلت امتدادا لسابقاتها في صياغة وتطوير أطروحات " وطنية" لمواجهة الأطروحات الاستعمارية على مستويات مختلفة كمسألة طبيعة علاقة المخزن[42] بالنظم المجتمعية المختلفة من قبائل وزوايا وغيرها[43].

---

(34)- ابن عبود: ملاحظات حول مقدمة تاريخ تطوان للفقيد داود، **مرجع سابق**. ص: 81.

(35)- محمد داود، **تاريخ تطوان**، ج 1، مصدر سابق، ص: 26.

(36)- عبد الرحمان المودن، **البوادي المغربية قبل الاستعمار: قبائل إيناون والمخزن بين القرن السادس عشر والتاسع عشر**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 25، مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1995، ص: 15.

(37)- أحمد التوفيق، التاريخ في الزمن المعسول، **مرجع سابق**، ص: 80

(38)- نفسه، ص: 78.

(39)- يقصد بمنطقة سوس مجال جغرافي في الجنوب المغربي، يمتد ما بين جبل درن ومشارف الصحراء. يرجع إلى محمد حنداين، **المخزن وسوس (1672-1822) مساهمة في دراسة تاريخ علاقة الدولة بالجهة**، مرجع سابق، ص ص: 51- 64.

(40)- محمد حنداين، **الجهات التاريخية الكبرى بالمغرب: جهة سوس الكبير القرنين 18/17- وثائق غير منشورة-**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2013، ص. ص: 40-41.

(41)- علي المحمدي، مشروع إعادة كتابة تاريخ المغرب في تصور محمد المختار السوسي، **مرجع سابق**، ص: 88.

(42) - يحيل مفهوم المخزن في دلالته العامة على معنيين أساسيين: فهو من جهة أولى، مرادف للجهاز الإداري الحاكم، ومن جهة ثانية فهو نظام للحكم ذو وظيفة سلطوية. للتفصيل يرجع إلى دراستنا: **شمال غرب المغرب في عهد السلطان المولى إسماعيل (1082-1139هـ/ 1672-1727م)- جوانب من التاريخ السياسي والاجتماعي**، منشورات مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، المطبعة والوراقة الوطنية، الطبعة الأولى، مراكش، 2017، ص ص: 11- 16.

(43)- ونقصد هنا على سبيل المثال: دراسة عبد الله العروي حول الأصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية، ودراسة "إينولتان" لأحمد التوفيق، وإيناون والمخزن، لعبد الرحمان المودن، والمخزن وسوس لمحمد حنداين.

2- مشروع إعادة كتابة تاريخ المغرب بين المنهج التقليدي والمنهج الحديث

لم تخرج حركة التأليف في المغرب منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين، عن مثيلتها في باقي بقاع العالم الإسلامي، إذ ظلت المرجعية الدينية حاضرة في تفسير الظواهر والأحداث التاريخية، والنظر إلى التاريخ باعتباره علما من العلوم "المساعدة للدين". ولا غرابة أن نجد أن جل أعلام الكتابة التاريخية التقليدية كانوا من ذوي التكوين الفقهي، كما أن النظر إلى الحدث التاريخي يطغى عليه المقصد الديني القائم على أخذ العبر من كل ما وقع، ذلك "أن في هذا التاريخ لدروساً وعبرا وإرشادا ووعظا، وفي ذلك كله فائدة وأية فائدة لمن يريد أن يجعل الحياة الجديدة لأمته مبنية على أساس قوي متين"(44).

لقد ألقت المرجعية الدينية لأعلام الكتابة التاريخية التقليدية بظلالها على منهجهم في التأريخ، ذلك أن من العبارات التي ظلت مترددة في كتاباتهم نجد " والله أعلم"، ولله الأمر من قبل ومن بعد"، " البقاء لله". والواقع أنها وإن كانت تشكل نمطا لصيقا بالكتابة التاريخية التقليدية الموغلة في الارتباط بالمرجعية الدينية، فإنها كذلك تحيل على التجرد في نقل الخبر والموضوعية الباعثة على أمانة المؤرخين الاخباريين، فضلا عما ترمز إليه من نسبية تترك الباب مشرعا أمام الرأي المخالف دون جزم أو عصبية.

لقد ظل المؤرخ التقليدي في أغلب الحالات حبيس الرواية والسرد، ليس بهدف معرفة الماضي وأخذ العبرة فحسب، وإنما في بعض الأحيان "إلى تحديد حكم شرعي لصالح فرد أو جماعة"(45)، باعتبار أن التاريخ الحقيقي، وفق هذا التصور، هو الذي يمكن من معرفة " مقام المصلحين وفضل المحسنين وكفاح العاملين وجهود المخلصين، كما يعرف أيضا جبروت الظالمين وطغيان المعتدين، وضلال المغترين، وإهمال المقصرين"(46).

لقد طغى السرد والرواية وفق المنهج التاريخي التقليدي، وفي بعض الأحيان غاب النقد والتحليل و التمييز بين الصحيح والسقيم من الأخبار. فهذا كتاب "تاريخ تطوان" نجده" لا يحتوي إلا على معلومات متناثرة تتصل حلقاتها وتنفصل تارة أخرى. وتتقارب موضوعاتها حينا وتتباعد أحيانا(...) فلهذا (...) لا ينتظر أن يجد فيه (أي القارئ) تاريخا كاملا شاملا مبنيا على الأسس العلمية الخالصة، تام التناسق متصل الحلقات، رابطا للأسباب بالمسببات، لأن المجهودات إنما استطاعت أن تحطب المعلومات، وتذيلها بالملاحظات والتعليقات."(47).

أما محمد المختار السوسي، فقد صرح بمنهجه باعتباره "مؤرخا جمَّاعة" يلتقط بعدسته كل ما يجده أمامه ويدون كل ما مر به من وقائع وأحداث وإن كانت عابرة(48)، وهو الأمر الذي جعل من موسوعة "المعسول" كتاب تاريخ" يحشر فيه كل ما أمكن"(49).

وعلى خلاف ذلك، وانسجاما مع التيارات التاريخية والإيديولوجية التي سادت أوربا والعالم خلال فترة الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، تبنى أساتذة الاتجاه الجديد مرجعيات منهجية عصرية (ماركسية، تاريخانية، بنيوية....)(50). وهكذا، بدأ النشاط التاريخي يستوعب واقعه التاريخي وفق رؤية جديدة للأحداث، بدأت

---

(44)- محمد داود، **تاريخ تطوان**، ج 1، مصدر سابق، ص: 25.

(45)- عبد الله العروي، **العرب والفكر التاريخي**، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، الطبعة الخامسة، 2006، ص: 80

(46)- محمد داود، **تاريخ تطوان**، ج 1، مصدر سابق، ص: 34.

(47)- نفسه، ص: 25.

(48)- محمد المختار السوسي، **المعسول**، ج 1، ص:و.

(49)- محمد المختار السوسي، **المعسول**، ج 20، ص: 279.

(50)- استطاعت المدارس والتيارات التاريخية التي ميزت الساحة التاريخية العالمية خلال فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية أن تأثر في الكتابة التاريخية المغربية الحديثة، حيث صار التاريخ "منهجيا" بعدما كان "تقليديا". وتجسد ذلك في العديد من الكتابات التاريخية

تنظيراتها الأولى مع جرمان عياش الذي دعا إلى تجاوز اهتمامات الكتاب التقليديين المقتصرة على " آثار السلاطين وعلى أنساب بعض العائلات وعلى تراجم أعلام الناس من الشرفاء والصلحاء والفقهاء والعلماء والقضاة"[(51)]، والانفتاح على تاريخ فئات "العامة " من فلاحين وحرفيين وغيرهم.

لقد جاءت الكتابات التاريخية الحديثة مركزة في بعض محاورها على "الكشف عن المهمش في الكتابة التاريخية التقليدية بدءاً من الحياة اليومية للمجموعات القروية إلى التيارات التي اخترقت البادية المغربية عشية الاستعمار"[(52)]. وبذلك تغير معنى التاريخ ومنهجه وفق هذه الرؤية الجديدة، حيث الانتقال من الرواية والسرد إلى العرض والتحليل[(53)].

ومن جانب آخر اعتبر جرمان عياش أن دراسة تاريخ المغرب تستدعي استحضار الجوار والضغط الأوربي الاقتصادي والعسكري على المغرب، إلى حد جعل أن " إهمال المحيط الأوربي أثناء دراسة ماضي المغرب مثله كمثل إهمال وجود الدجاجة الحاضنة للبيضة مما يؤدي إلى تعويض سخونة الأم الحاضنة بأسباب خيالية لتفسير تفريخ البيضة"[(54)].

وجاءت دراستا الأستاذين أحمد التوفيق حول مجتمع "إينولتان"[(55)] وعبد الله العروي حول "الأصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية"[(56)]، فدشنتا مسارا آخر للبحث التاريخي، إذ فُتحت الآفاق أمام تطوير اهتمامات المؤرخ ومصادره المعرفية والتأسيس لمرحلة "التاريخ الاجتماعي"، إذ صار" مؤرخ المجتمع يوظف مفاهيمه

الحديثة: فإلى جانب الانتماء الوضعاني لمنهج الأستاذ جرمان عياش مثلا، نجد حضور المرجعية الماركسية في عدد من كتاباته، وخاصة " دراسات في تاريخ المغرب"، ودراسته " اتجاه جديد للبحث في تاريخ المغرب"، إذ اعتمد فكرة "استعمار المغرب" عاملا حاسما في فهم تاريخه. أما الأستاذ أحمد التوفيق وإن كان قد انفتح على مختلف النظريات السوسيولوجية و الأنثروبولوجية والجغرافية، فقد تأثر باعتماد المقاربة الماركسية في دراسته حول "إينولتان" وإن كان ذلك بنوع من الحذر والانتقاء، حيث قال:" والواقع أن هذا البحث قد استفاد من الأدبيات المنهجية الماركسية كما يظهر من تسلسل أبوابه ومن بعض تساؤلاته، لكنه لم يستغل استنطاق الوثائق بشكل دوغمائي او إيديولوجي لإرضاء نمطيته أو التفاعل معها بشكل مسبق. وهذا الخروج المصحوب بالنجاة من فيروس الوقت لم يكن بالأمر الهين، ومعنى هذا أنه اجتهد للوفاء بقواعد الصناعة التاريخية، بأوسع الوسائل الممكنة من حيث تعدد أنواع الوثائق، ومن حيث إلقاء أسئلة على هذه الوثائق مستمدة من بنية العلوم الإنسانية ". أحمد التوفيق، **المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر(إينولتان1850-1912)**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم: 63، الطبعة الثالثة، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، 2011، ص: 9- 10.

أما المنهج التاريخاني فهو بارز في المشروع التاريخي للأستاذ عبد الله العروي، وحول هذا الموضوع، يرجع إلى: كما عبد اللطيف، **درس العروي في الدفاع عن الفكر التاريخي الحداثي**، السلسلة الشهرية المعرفة للجميع، العد 11، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1999.

(51)- جرمان عياش، اتجاه جديدة للبحث التاريخي، **مرجع سابق**، ص: 36.

(52)- عبد الرحمان المودن، **البوادي المغربية قبل الاستعمار: قبائل إيناون والمخزن بين القرن السادس عشر والتاسع عشر**، م س، ص: 22.

(53)- محمد العيادي، المدرسة التاريخية المغربية الحديثة: الإشكاليات والمفاهيم، **مرجع سابق**، ص: 11.

(54)- جرمان عياش، اتجاه جديد للبحث التاريخي، **مرجع سابق**، ص: 41.

(55)- أحمد التوفيق، **المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر(إينولتان1850-1912)**،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 63، ثلاث طبعات، آخرها طبعة 2011.

(56) - Abdallah, Laroui, **les origines sociales et culturelles du nationalisme marocaine (1830 -1912)**.centre culturel arabe, 2 ed, 2001.

لإنارة قطاعات لا تنتمي بالضرورة إلى المعنى الحرفي لتخصصه؛ فهو يبحث عن العلاقات الاجتماعية في تجلياتها المختلفة: في أشكال الإنتاج والتبادل، في السلطة السياسية، كما في الحركة الصوفية وفي الظاهرة الاستعمارية"[57].

لقد اتضح مع تلك الدراسات وغيرها أن مقاربة الإنتاج التاريخي الاستعماري حول قضايا مختلفة من تاريخ المجتمع المغربي، كقضية السيبة[58] والقبيلة والمخزن، تقتضي الانتقال" من المجادلة الوطنية إلى سؤال هادئ يتعلق ببنيات المغرب التقليدي قبل الحماية"[59].

وهكذا، انفتحت الدراسات التاريخية الحديثة في مناهجها على توظيف أداوت علمية جديدة مستقاة من علوم اجتماعية متعددة، كالاجتماع والاقتصاد والأنثروبولوجيا، ونذكر بهذا الخصوص على سبيل المثال لا الحصر، دراسة الأستاذ عمر أفا حول النقود في تاريخ المغرب والتي انفتح فيها على المنهج الإحصائي[60]، ودراسة الأستاذ عبد الرحمان المودن حول " إيناون والمخزن"[61] التي استثمر فيها مفاهيم كارل بولاني (karl polanyi) الأنثروبولوجية في تحليل وفهم الحياة العامة لقبائل حوض إيناون قبل الفترة الاستعمارية[62].

وإذا كانت الكتابات التاريخية التقليدية ترتكز بشكل محوري على عنصر الحدث وتسلسله الكرونولوجي، فإن الكتابة التاريخية الحديثة، انتقلت من الاهتمام بالحدث المجرد إلى الاهتمام بالحدث كبنية، في سياق الانفتاح على علوم إنسانية أخرى، وأصبح المؤرخ الجديد يوظف مفاهيم جديدة كالبنية والطبقة والذهنية. وفي ذلك تحدث الأستاذ عبد الأحد السبتي قائلا: "إذا استعدنا تاريخ الكتابة التاريخية المعاصرة، فإننا نلاحظ أن الانتقال من الحدث إلى البنية تم ضمن عملية تجديد شاملة، وهي عملية أعادت النظر في موضوع التاريخ مثلما أعادت النظر في أدواته ومناهجه"[63].

وفي هذا السياق بدأ المؤرخ الجديد بطرح مجموعة من التساؤلات، حول كيفية استثمار الرصيد الحدثي مع الاحتفاظ بمكتسبات التحليل البنيوي وعدم الوقوف عند الحدود الإيديولوجية للكتابة الحدثية، خاصة وأن الحدث

---

(57)- عبد الأحد السبتي، التاريخ الاجتماعي ومسألة المنهج: ملاحظات أولية، ضمن **ندوة البحث في تاريخ المغرب**، مرجع سابق، 43.

(58) - لقد اعتبر العديد من المؤرخين والسوسيولوجيين الأوربيين أمثال جاك بيرك وروبير مونتاني، أن الدولة المغربية تنقسم على مستوى تدبير سلطة الحكم إلى مجالين: القسم الأول يطلق عليه بـ"**بلاد المخزن**"، ويضم المناطق المركزية من الدولة والقريبة من مقر السلطة المركزية، والتي تشملها أحكام الدولة، وتدفع الضرائب والهدايا....والقسم الثاني يطلق عليه بـ"**بلاد السيبة**" أو "**البلاد السائبة**"، حيث تتقوى سلطة القبائل داخل المناطق النائية والبعيدة و الخارجة عن أحكام وسلطة الدولة. وللتفصيل في مفهوم السيبة، يرجع إلى الدراستين الآتيتين:

- Reberes, Mantagne, **Les berbères et makhzen dans le sud marocain:essai sur les transformation politique des berbères sedentaire**, paris 1983

- حميد قهوي، السيبة في المغرب كموضوع سوسيولوجي، ضمن **مجلة أبحاث**، العدد 28-29، السنة العاشرة، ربيع 1992، ص ص: 69-81.

(59)- عبد الأحد السبتي، نفسه، ص: 47.

(60)- عمر أفا، **مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر(سوس 1822-1906)**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، 1988.و**النقود المغربية في القرن** الثامن عشر **أنظمتها وأوزانها في منطقة سوس**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1993.

(61)- يقصد بإيناون الممر الطبيعي الذي يفصل بي مدينتي فاس وتازة بشمال المغرب، حيث يتواجد وادي إيناون.

(62)- عبد الرحمان المودن، **البوادي المغربية قبل الاستعمار...**،مرجع سابق، ص: 22.

(63)- عبد الأحد السبتي، التاريخ الاجتماعي ومسألة المنهج: ملاحظات أولية، **مرجع سابق**، ص: 49.

المجرد يمكن أن يكشف ويؤسس عن ظواهر بنيوية مختلفة، كما يمكن له أن يتحول إلى بنية عندما يستطيع استصدار إشكاليات قادرة على تقديم قراءة جديدة للمصادر[64].

خاتمة

من خلال ما سبق، نخلص إلى ما يلي:

لقد جاءت الكتابة التاريخية المغربية المعاصرة استجابة للتموجات الحضارية التي شهدها المغرب خلال مرحلتي الاستعمار وما بعد الاستقلال، كما أنها لم تنفصل عن تأثيرات محيطها الإسلامي والعالمي.

لقد حقق البحث التاريخي المونوغرافي تراكما علميا مع الكتابات التاريخية التقليدية خلال فترة الاستعمار ليشهد تطورا ملحوظا مع الدراسات التاريخية الحديثة منذ الاستقلال إلى اليوم.

إذا كانت الكتابات التاريخية الحديثة قد شكلت استمرارا لنظيرتها التقليدية على مستويي إعادة الاعتبار للوثيقة التاريخية ودحض الأطروحات الاستعمارية حول تاريخ المغرب، فإن تمة مظاهر متعددة لجوانب من الاختلاف بين الاتجاهين من حيث انفتاح المؤرخ الجديد على مرجعيات فكرية جديدة وكذا توظيفه لمناهج وأدوات جديدة في الكتابة التاريخية.

ويبقى دور المؤرخ التقليدي مؤسسا في توجيه البحث التاريخي الجديد نحو الدراسات المونوغرافية والجهوية في مغرب ما بعد الاستقلال.

لائحة المصادر والمراجع

أولاً- المصادر والمراجع بالعربية:

1- أبرزاق، البشير، شمال غرب المغرب في عهد السلطان المولى إسماعيل (1082-1139هـ/ 1672-1727م)- جوانب من التاريخ السياسي والاجتماعي، منشورات مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، المطبعة والوراقة الوطنية، الطبعة الأولى، مراكش، 2017

2- أفا، عمر، تاريخ المغرب المعاصر: دراسات في المصادر والمجتمع والاقتصاد، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 34، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2002/2001.

3- أفا، عمر، مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر(سوس 1822-1906)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، 1988.

4- أفا، عمر، النقود المغربية في القرن الثامن عشر أنظمتها وأوزانها في منطقة سوس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1993.

5- أعفيف، محمد، توات: مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات وتاريخها، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 70، الطبعة الأولى، 2014.

6- بن عبود، امحمد، ملاحظات حول مقدمة تاريخ تطوان للفقيد داود، ضمن ندوة محمد داود الحركة الوطنية بالشمال والمسألة الثقافية، تطوان 24-25-26 نونبر، منشورات اتحاد كتاب المغرب، سلسلة ندوات2/1990، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى، 1990.

(64)- نفسه، ص.ص: 49-52.

7- التوفيق، أحمد، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر(إينولتان1850-1912)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم: 63، الطبعة الثالثة، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، 2011.
8- التوفيق، أحمد، التاريخ في الزمن المعسول أو محمد المختار السوسي من زمن النحو إلى زمن التاريخ، ضمن ندوة المختار السوسي الذاكرة المستعادة. المنظمة في أكادير أيام 23/22/21 دجنبر 1984، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1986.
9- التيمومي، الهادي، المدارس التاريخية الحديثة، نشر دار التنوير ببيروت ودار محمد علي بتونس، الطبعة الأولى، 2013.
10- حنداين، محمد، المخزن وسوس (1672-1822) مساهمة في دراسة تاريخ علاقة الدولة بالجهة، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2005.
11- حنداين، محمد، الجهات التاريخية الكبرى بالمغرب: جهة سوس الكبير القرنين 18/17- وثائق غير منشورة-، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2013.
12- داود، محمد، تاريخ تطوان، الجزء الأول ضمن مطبوعات معهد مولاي الحسن، مطبعة – مكتبة كريماديس-، تطوان، دون تاريخ. والجزء السابع، المطبعة الملكية، الرباط، 1990.
13- الرامي، خالد، تطوان خلال القرن الثامن عشر: مساهمة في دراسة المدينة المغربية، مطبعة الخليج العربي، الطبعة الأولى، تطوان، 2005.
14- المحمدي، علي، مشروع إعادة كتابة تاريخ المغرب في تصور محمد المختار السوسي، ضمن ندوة المختار السوسي الذاكرة المستعادة، المنظمة في أكادير أيام 23/22/21 دجنبر 1984، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1986.
15- المنصور، محمد، الكتابة التاريخية بالمغرب خلال ثلاثين سنة(1956-1986)" ملاحظات عامة، ضمن ندوة البحث في تاريخ المغرب: حصيلة وتقويم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1989.
16- محمد جاد الرب، عبد القادر عثمان، المدرسة التاريخية المغربية الحديثة وتأثيرات الموقع الجغرافي في تحديد سماتها وخصائصها، منشور على الموقع الالكتروني:http://historyinarabic.blogspot ، بتاريخ15 نونبر 2012. أطلع عليه بتاريخ2017/10/24.
17- المودن، عبد الرحمان، البوادي المغربية قبل المغربية قبل الاستعمار: قبائل إيناون والمخزن بين القرن السادس عشر والتاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 25، مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1995.
18- العروي، عبد الله، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، وبيروت، الطبعة الثانية - 2009.
19- العروي، عبد الله، العرب والفكر التاريخي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، الطبعة الخامسة، 2006.
20- عياش، جرمان، اتجاه جديد للبحث التاريخي، ضمن ندوة البحث في تاريخ المغرب: حصيلة وتقويم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1989.
21- عياش، جرمان، دراسات في تاريخ المغرب، الشبكة المغربية للناشرين المتحدين، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1986.

22- عبد اللطيف، كمال، درس العروي في الدفاع عن الفكر التاريخي الحداثي، السلسلة الشهرية المعرفة للجميع، العد 11، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1999.

23- العيادي، محمد، المدرسة التاريخية المغربية الحديثة: الإشكاليات والمفاهيم، دراسات مغاربية، مؤسسة الملك عبد العزيز الدار البيضاء، العدد 15، 2005.

24- قهوي، حميد، السيبة في المغرب كموضوع سوسيولوجي، ضمن مجلة أبحاث، العدد 28-29، السنة العاشرة، ربيع 1992، ص ص: 69- 81.

25- السبتي، عبد الأحد، التاريخ الاجتماعي ومسألة المنهج: ملاحظات أولية، ضمن ندوة البحث في تاريخ المغرب: حصيلة وتقويم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1989.

26- السبتي، عبد الاحد، بين الزطاط وقاطع الطريق: أمن الطرق في مغرب ما قبل الاستعمار، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، 2009.

27- الشابي، مصطفى، النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 26، الطبعة الأولى، 1995.

28- السوسي، محمد المختار، سوس العالمة، الطبعة الثانية، 1984.

29- السوسي، محمد المختار، المعسول ج 20/1.

30- السعود، عبد العزيز، تطوان خلال القرن التاسع عشر: مساهمة في دراسة المجتمع المغربي، منشورات جمعية تطاون أسمير، مطبعة الحداد، الطبعة الأولى، تطوان، 1996.

31- السعود، عبد العزيز، تطوان في القرن الثامن عشر(السلطة- المجتمع- الدين)، منشورات جمعية تطاون أسمير، مطبعة الخليج العربي، الطبعة الأولى، تطوان، 2007.

ثانياً- المراجع باللغة الفرنسية:

1- Abdallah, Laroui, les origines sociales et culturelles du nationalisme marocaine (1830 -1912), centre culturel arabe, 2 ed, 2001.

2- Mantagne ,Reberes, Les berbères et makhzen dans le sud marocain:essai sur les transformation politique des berbères sedentaire, paris 1983.